

إيران.. روسيا والاتحاد الأوروبي

: في تصريحات صحافية جديدة أعاد خافيير سولانا مفوض السياسة الخارجية والأمن في الاتحاد الأوروبي مواقف سابقة للاتحاد من الملف النووي الإيراني، تلك المواقف التي ما زالت تعتبر أن تعليق التخصيب مسألة هامة على طريق الدخول في أي مفاوضات جادة مع إيران، هذا التعليق الذي يتحدث عنه الاتحاد الأوروبي في الحقيقة مثل نوعا من التراجع بعد أن كان الحديث عن وقف للتخصيب. سولانا لفت الانتباه إلى أن ما قامت به روسيا من تزويد مفاعل بوشهر النووي الإيراني بالوقود النووي إنما جرى في ظل توافق دولي بين الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة وروسيا. مثل هذا التقييم لسولانا يرسل رسالة واضحة أن هناك قدرا من التنسيق بين ممثلي المجموعة «1+5» حول إيران، تنسيق في الحقيقة لم يبدُ قويا في الاجتماع الذي عقد في نوفمبر الماضي في باريس، هذا التنسيق الذي يواجه عقبات حقيقية حتى رغم محاولات الأطراف المختلفة للتقليل منها.

هناك حالة من الغضب نحو روسيا بسبب الحرب الأخيرة في القوقاز، حالة الغضب تلك قادمة من واشنطن بالأساس، لكن الاتحاد الأوروبي يشاطر واشنطن في شطر منها، الفرق الوحيد بينهما أن الاتحاد وعبر رئيسه الدوري نيكولا ساركوزي اعتمد دبلوماسية المواجهة السلمية مع روسيا، الأمر الذي عجل بإنهاء الأزمة أو لنقل نزع فتيلها حتى ولو لفترة قصيرة. ما حدث في جورجيا كان في الحقيقة نوعا من الشرح في جدار الائتلاف الدولي الذي تقول واشنطن إنه (الائتلاف) فاعل في مواجهة طموحات إيران النووية.

في الحقيقة روسيا على -سبيل المثال- لم تُخف امتعاضها من موقف الولايات المتحدة من مناصرة جورجيا، وانعكس ذلك من خلال الإعلان بأن مفاعل بوشهر سيتم تشغيله في بداية العام 2009. أزمة أخرى غير بعيدة تتعلق ببرنامج الدرع الصاروخية التي تصر روسيا أن نصب الولايات المتحدة لها في بولندا بمثابة تهديد للأمن القومي الروسي، هذه الأزمة التي تبدو مرشحة للتفاعل العام القادم مع تولي الرئيس الأمريكي الجديد منصبه، لاسيما وأن روسيا لا ترى في تعيين روبرت غيتس عاملا مساعدا على حل هذه الأزمة.

الإسراع الأوروبي لمحاورة الأزمة مع روسيا له مبرراته المتصلة بحقيقة أن روسيا مزود رئيس لتلك الدول بالطاقة ولاسيما الغاز الذي تعتمد عليه قطاعات واسعة سواء كانت صناعات أو أغراض منزلية.

العلاقة بين الاتحاد الأوروبي وروسيا مهمة بالنسبة للاتحاد الذي يقود مبادرة التفاوض مع إيران، فالحقيقة التي يبدو أن أطرافا أوروبية تجمع عليها هي أن أي تذكور روسي في التعاون مع جهود الاتحاد بشأن إيران يعني عدم تحقيق تلك الجهود أهدافها لمواجهة الطموحات النووية الإيرانية، لذلك نرى محاولات التوصل مع روسيا -وذلك إقرارا بأهمية دورها- لمعالجة الملف النووي الإيراني، فروسيا الدولة دائمة العضوية في مجلس الأمن، هي في ذات الوقت دولة تزود إيران بالتكنولوجيا النووية، وبالتالي أي محاولة لتجاوز دورها أو تبني سياسة تصادمية معها فإن جهود الاتحاد الأوروبي ومن خلفه واشنطن ستكون بلا فائدة. لقد ظهر واضحا أن الأداء الروسي في التعامل مع الملف النووي الإيراني تسبب في طول فترة التفاوض بين إيران ومجموعة «1+5»، فروسيا تعتقد -إلى حد ما- أن طموحات إيران النووية مشروعة، وأنها لا تسعى لتكوين أسلحة نووية، وهي قناعة ليست موجودة لدى الدول الغربية.

من هنا فإن إيران وبشكل مباشر أو غير مباشر استفادت من هذا التباين في وجهات النظر، وظهرت روسيا وإلى جانبها الصين كدول معطلة للقرارات التي اتخذت ضد إيران. فالقرارات 1696 و1737 و1747 و1803 صدرت بنوع من التعديلات لتقتنع روسيا والصين بالموافقة، الأمر الذي أدى إلى صدورها بلغة مخففة مقارنة مع اللغة الأصلية التي تقدمت بها دول مثل بريطانيا أو الولايات المتحدة.

توشك إيران أن تتجاوز التهديد الذي يمكن أن تشكله إدارة الجمهوريين الأمريكية، تجاوزا ربما يخدم إيران وأطرافا أخرى كالاتحاد الأوروبي وروسيا لأن تتعامل مع واشنطن وفق آليات مختلفة عن تلك في عهد الجمهوريين، آليات تبرز الشراكة الكاملة وليس فرض الرؤية الأمريكية على الآخرين. مسألة تريدها روسيا ويرغب فيها الاتحاد الأوروبي ليس حول البرنامج النووي الإيراني فقط، بل حول قضايا عالمية أخرى.

mzweiri@aol.com